

القديمة الى قومية سياسية ليجاروا بذلك ما كان يسود انكثره وفرنسا واطاليا والمانيا من اتجاهات القومية السياسية الفاسقة المتطلعة الى نهب الشعوب الاخرى ، فاستغلّت هذه الاتجاهات شباب تلك البلدان واستخدمتهم طعاما للدماع للسيطرة على اراضي البلدان الاخرى واستغلال شعوب تلك البلدان ونهب ثرواتها . ومنذ ذلك الزمن أخذت أوروبا تتعلم الدرس من طريق التجارب القاسية المريرة التي عانت منها الى ان بدأت تلفظ افكار القومية السياسية وتنبذ اتجاهاتها كمنهج للحياة ، وكغاية في ذاتها ، وكمثل أعلى تشربه للنشء ، وقد بدأوا يتعلمون هذا بعد ان دفعوا ثمنا باهظا لقاء هذا الدرس ، وبدلا من ذلك ، أخذت تهل على الدنيا النزعة الانسانية العالية النظرة ، فانقطعت الديانات عن محاربة ومقت الواحدة الاخرى ، واخذت افكار القومية السياسية تتلاشى لتحل محلها نظرة عالمية تتوخى اقرار العدالة للفرد وتمتعه بحق السعادة في الحياة . واخذت تشيع في العالم مشاعر الاخوة الانسانية والمساعدة المتبادلة ، وذلك نظرا لادراك الناس مدى لا اخلاقية القومية السياسية وما الحقته بالانسانية من اذى وضرر .

ولكن بقدر ما يتعلق بهي الامر ، فانني اقول ان اليهود اليوم قد وقموا ضحية القومية السياسية التي ما زالت تبث افكار القومية السياسية الفاسقة المتطلعة الى السلب والنهب ، والاستيلاء على اراضي الغير ، ان الغزو الاقليمي قد غدا هو الغرض من الحياة وغايتها ، واصبح القضية التي تستحق ان يموت المرء في سبيلها . ان علينا الان ، وفي اسرع وقت ممكن ، ان نبدأ في وضع يدنا على الاصول الاولى للجريمة ، الا وهي مدرسة القومية السياسية اليهودية في التفكير التي نشأت في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ونبئت في تربة الاستعمار والامبريالية والنازية الالمانية الفاسقة والمتطلعة الى السلب والنهب ، والتي فرضت قومية سياسية ما زالت اليوم كما كانت في الامس ، وما فتئت تسعى الى ما كانت تصبو اليه في عام ١٨٩٧ الا وهو تأسيس امبراطورية اسرائيل الكبرى على حساب السكان العرب المحليين الابرياء في الشرق الاوسط .

يكبرني بحوالي ١٥ سنة او يزيد . اما ابناؤه ، فربما انهم يمشون الان في احد المخيمات حيث تحولوا الى فدائيين . وهذا احد الاسباب التي تدعوني الى ان المرغ جل طاقتي وان استغل كل ساعة او لحظة تسنح لي لخدمة القضية بحافز من يهوديتي — اذا كان يحق لي هذا الانتساب ، لانني اعتبر نفسي يهوديا افضل واخلص بكثير من اولئك الذين يدعمون الصهاينة الاسرائيليين القتل لكى يقتلوا الناس في وجه الوصية التي تقول : « لا تقتل ! » . ان كل ذرة من طاقتي وكل لحظة من وقتي ينبغي ان افرغها لمساعدة ضحايا القومية اليهودية — القومية اليهودية المجنونة المخرقة في بدائيتها ، والبالية الغربية عن عصرنا الى ابعد حد ، والتي هي ابعد ما تكون عن الديانة اليهودية الاصيلية ، ان جاز لي ان اقول ذلك . ان ما لفتني اياه جدي من تعاليم دينية واخلاقية ظلت تلازمني طوال حياتي . وان ما اورثني اياه جدي من تعاليم يهودية صحيحة ، اصيلة في يهوديتها — تعاليم الديانة اليهودية الاخلاقية والشاملة في انسانيته جعلتني بعد ان امضيت عمري اراقب قضايا العدالة والظلم ، وشؤون الحروب العالمية ، وقضية النزاع الكبير بين اليهود في فلسطين او في اسرائيل اليوم وبين عرب فلسطين الذين طردوا من بيوتهم وديارهم ، ان هذا النهج الاخلاقي هو الذي اثر علي ليس فقط في منحي سيرتي الشخصية ، قدر ما وسعني الجهد للالتزام بالمثل الاخلاقية والتمسك بالقيم الانسانية متوخيا الاتصاف والتوبة عن الاساءة مثلما كان جدي يتوب عن سيئاته ، وذلك ليس فقط امام الجيل الشاب لكي يصبحوا « يهودا جيدين » ، بل في التصرف في المحيط الاوسع كاتسان يمارس انسانيته ، يمارس التهذيب الانساني ويلتزم بالمثل الاخلاقية . هذه هي الامور التي جعلتني اقرر منذ اشتعال الحروب العربية — الاسرائيلية ان اقف الى جانب ضحايا القومية اليهودية التي هي في نظري تعني التخلي عن يهودية الانبياء القديمة — اليهودية الاصيلية ، الاخلاقية . الانسانية ، واستبدالها بالقومية اليهودية .

لقد استبد الياس باليهود في اواخر القرن التاسع عشر واخذ منهم كل ماخذ حتى طلبوا ديانتهم اليهودية